المثالية في شعر الرثاء الجاهلي " دراسة وتحليل "

م.م. صدام علي صالح حمادي
المديرية العامة لتربية الانبار.

أ.د. نصرة احميد جدوع الزبيدي
كلية التربية للبنات-جامعة الأنبار

استلم: ٢٠١٧/١١/١
النشـــر: ٢ /١٢/ ٢٠١٨

الملخص:

إنّ الشاعر الجاهلي في الرثاء سعى إلى رسم الصورة المثالية للمرثي من خلال الصفات الحميدة التي عرف بها في حياته والتصاق تلك القيم به يمثل دعوة من لدن الشاعر إلى أبناء ذلك المجتمع أنْ يسلكوا ذلك السبيل ليفوزوا بالذكر الحسن الذي يخلدهم بعد الموت، وهذه الفلسفة قامت عليها قصائد الرثاء وخلّدت أصحاب تلك المواقف النبيلة أبد الدهر.

Abstract

The ignorant poet in lamentation sought to draw the ideal image of the lier through the good qualities that were known in his life and the adhesion of those values by representing the call of the poet to the sons of that society to follow that path to win the mention of the good that immortal after death, and this philosophy was based on poems Lamentation and immortalized the owners of those noble positions forever.

المقدمة

لم يبتعد الشعراء كثيراً في استخدام المدلولات الدالة على القيم النبيلة، إذ تتشابه الغاية مع اختلاف الوسيلة فكل المعاني التي طُرِقَت تدور في نفس الفلك مع الاختلاف في معنى الغرض الذي تدور حوله تلك المعاني. ولا نغالي إذا قلنا إنّ غرض الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية لأنّه يجسّد شعوراً إنسانياً نبيلاً نابعاً من عاطفة صادقة تجاه شخص لم يبقَ منه سوى ذكريات وافعال حسنة تمثل في مجملها مرحلة الخلود بعد الموت، لذا جاء الرثاء ليعبر عن الجانب الانساني النبيل ولوعة الاشتياق للفقيد.

المثالية في شعر الرثاء الجاهلي " دراسة وتحليل " بما أنَّ العصر الجاهلي عصرٌ كَثُرت فيه الحروب، وما صاحب ذلك من كثرة القتلى، ولاسيما أنَّ القتلى من الفرسان الذين امتشقوا السيوف وكانت صدورهم دروعاً صلبة يُتّقى بها ضربات العدو من أجل عزة القوم وحماية القبيلة بما فيها من دنس العدو، ولكي تحمى النساء من السبي لابد من وجود فرسان يضطلعون بتلك المهمة. إذ إنَّ معترك الحرب هو ميدان قتل يتجندل فيه الأبطال صرعى من أجل الغاية التي خرجوا من أجلها، فكل من يقوم بهذا الدور يستحق أنْ يمدح بأجلّ الأوصاف، لذا فإنَّ الشعراء نجدهم في ((تأبين الميت فإنَّ العادة... أنْ يُعطى من التقريظ والوصف وجميل الذكر، أضعاف ما كان يستحقه)) [١] قبل موته.

فالرثاء يقوم على خصيصة واحدة ألَا وهي مدح الميت بعد موته* وتعداد مناقبه وخصاله الحميدة وصفاته النبيلة ومدى انعكاسهما على المجتمع، بوصفه الشخصية المثالية، التي لها الدور الريادي في تكوين كيان القبيلة والدفاع عنه، وعلى هذا فإنّ المكانة والأهمية لابد أن تجسد بنفثات تبين الألم الذي نتج جرّاء ذلك الفقد والخطب الجلل الذي أطلق العنان للشعراء ((فتنطلق من وجدانهم مشاعر عارمة ... هي المنتج الحقيقي لذلك الفن الجميل)) (٢)، وكان لدرجة القرابة بين الراثي والمرثي أثر في قوة ذلك الشعر من حيث صدق العاطفة والشعور فـ((كلما دنت القرابة بين الشاعر والميت ازداد الرثاء حسرةً وتفجعاً)) (٣). وعليه يمكن عد تلك المراثي أجود الشعر وأصدقه٤ وقد وردَ هذا كثيراً في كلامهم، وحين سُئلوا ((ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ فقال: لأنّا نقول وأكبادنا تحترق)) (٥).

ولطبيعة المرأة وعاطفتها الجياشة ورقّة طبعها، علاوة على ذلك الحنان الذي جبلت عليه، له الأثر الأبرز في تفوقها في غرض الرثاء على ((عكس الرجل الذي فرضت عليه الأعراف الاجتماعية أنْ يتسم بالصبر والجلادة والتحمل، ولكون العرب كانت تعيّر من يبكي من الرجال)) (٦)، لذا كان الرثاء خصيصة من خصائص القول لدى النساء، على عكس الرجال الذين اتّسموا بالغلظة والتحمل، وهذا ما نجده في قول المخبّل السعدي(٧):

يبكى علينا ولا نبكي على أحد إنّا لأغلظ أكباداً من الإبل

ونجد المعنى ذاته في قول عمرو بن معدي كرب(٨):

وإنّا لَقَومٌ لا تَفيضُ دموعُنا على هالِكٍ منّا وإنْ قُصِمَ الظّهْرُ

البكاء الذي أراده الشاعر هنا هو إظهار الضعف وانكسار العزيمة والقبول بالذل وكأنَّ الكبوةَ التي أسقطته كانت النهاية واللاعودة، وهذا مما لا يوجد في قواميس الحياة الجاهلية التي عرف أبناؤها النضال طريقاً والجلاد والصبر على الشدائد ديدناً وسبيلاً، لذا فإنَّ ((إظهار الحزن لم يكنْ يناسب رجال القبيلة كما كان لائقًا بنسائها، وخاصة بالأخوات، ومن ثم بقي تعهد الرثاء الفني من مقاصدهن حتى عصر التسجيل التأريخي))(٩). وفي جانب آخر نجد أنّ الشاعر الجاهلي يُحرّض على الرثاء ويطلب من محبيه أنْ يصفوه بأجمل الصفات التي أحبها في حياته، وإن كان الموقف موقف حزن إلاّ أنّه مدعاة لتحريك صدق العواطف وإطلاق العنان لها وفك قيودها، ولأنَّ ((الإنسان رهن للموت وهو لا يعلم متى تأتيه المنية وبقاؤه محال وكل شيء سائر إلى الفناء، فمن العبث أن يطمئن إلى الحياة، فلا الكريم الفقير يفنيه جوده، ولا الغني البخيل مخلّد بماله))(١٠) وهذه الفلسفة كانت من أسباب دعوة الشاعر وطلبه إلى تخليد مآثره وهذا ما نجده في قول طرفة بن العبد(١١):

فإنْ مُتُّ فانْعِيني بِما أنا أهلُهُ وَشُقّي عَلَيَّ الجَيْبَ يابْنَةَ مَعْبَدِ
ولا تَجْعَليني كامْرِئٍ لَيْسَ هَمَّهُ كَهَمّي ولا يُغْني غَنائي وَمَشْهَدي

إذن فن الرثاء يرتبط بالحياة اليومية وأحداثها المستمدة من الواقع المعاش ولاسيما أنّ تلك الحياة كانت ملأى بالحروب وما يرافقها من فَقْدٍ للأخوة والأخلاّء وما يترتب على ذلك من فراغ مادي ملموس، يعيشه كلُّ محبيه، فتكون الكلمات ونعي الميت الوسيلة الوحيدة للتعبير عن مكنونات الصدور ولواعج القلوب، لذا فإنَّ المرثية الشعرية ((نشأت نشأتها الأولى من ندب النوائح المجرد من القوالب ولهذا غلب تعهده بعد ذلك على النساء)) (١٢)، إذ إنّ أهم مقوّم من مقومات هذا الفن التعبير والتجربة الصادقة، فهو نابع ((عن تجربة حقيقية وعواطف صادقة سيّما التي يختفي منها عامل المنفعة الخاص)) (١٣) وعليه فإنَّ قصيدة الرثاء قد اختلطت بموضوعات الحياة اليومية، فطرزتها بمعاني الوفاء والصدق، فجاءت على النحو الآتي:

١/ الرثاء في الحرب والتوثيب.

٢/ الرثاء في السلم.

٣/ تأبين الميت وندبه وعلاقة ذلك بأغراض الشعر الأُخرى.

وسنتناول في هذا الموضع صورة المرثي المكتملة الصفات التي جُسدت في القصيدة الجاهلية، فأبرزت المرثي بأسلوب رفيع منمق من خلال الصفات النبيلة والمعاني الجليلة التي عُرِف بها في حياته.

١/ الرثاء في الحرب والتوثيب.

الحرب - ومواقف اخرى - تمثل مادة الشاعر التي استمد من أحداثها معانيه فكانت أحداثها منهلاً يأخذ منه الشاعر قضايا قومه ويؤطره بزخارف وحلي كي تظهر بالوجه الذي يريدها أنْ تظهر فيه، فعلاقة الرثاء بالحرب علاقة أزلية. لأنَّ ميدان الحرب ميدان يتجندل فيه الشجعان والفرسان، فالموت هو الحقيقة المزعجة التي اشترك فيها جميع الناس بكل طبقاتهم واتجاهاتهم فهو باب يمرُّ من خلاله الجميع، وإنْ كان لدى الشجعان والفرسان مما يدخل إقداماً وبطولة على الرغم من أنَّ كل فردٍ ((يملك يقيناً مزعجاً عن حقيقة الموت)) (١٤)، وهذا التصور الذي ترسّخ في ذات الفرد وعقله لم يمنعه من صنع مجده والخلود الذي سيكون بالذكر بعد الموت، انطلاقاً من فلسفتهم أَنَّ الحياة سيكون مآلها الموت الذي هو ((سنّة مألوفة في هذا الكون تتكرر دوماً ولا تنقطع)) (١٥).

وإذا كانت الحرب إحدى بوادر القول في هذا الفن فإنَّ ذلك مما يعطي الشاعر استعمال المدلولات التي تدل على البطولة والاستبسال للدفاع عن القيم التي تعارف المجتمع عليها، فكانت تلك لبنات نشوء ذلك الفن، ففي ((شعر الرثاء يزداد الإحساس بعنف الحياة وقسوتها لأنَّ الشاعر يعيش مع الرثاء تجربة الموت والفناء، فتدور حياته خلف الدم المهدور، والحق المغصوب، فكانت الحروب هي حياتهم يمارسونها غزاة مستعدين

أو يواجهونها جادين مدافعين، وتولد من هذه الحياة العنيفة عادات وتقاليد تتصل بها اتصالاً وثيقاً مثل: الثأر، والدعاء، والذبح، كما طبعت نفوسهم بطابع حزين فسيطرت عليهم الطّيرة والتشاؤم. ومن كل هذه اللبنات تكونت صورة الرثاء في الشعر الجاهلي)) (١٦) لقد جسد شاعر العصر الجاهلي المثالية الحربية التي وجدها عند بطله المقتول فكان بحق يمثل الأنموذج المكتمل الصفات، ومن ذلك قول الخنساء(١٧):

أَعَيْنِ ألا فابكي لصَخْرٍ بِدرَّةٍ ... إذا الخَيْلُ مِنْ طُولِ الوَجِيفِ اقْشَعَرَّتِ(١٨)
إذا زَجَروها في السَّرِيحِ وطابَقَتْ ... طِبَاقَ الكِلابِ في الهَرَاسِ وصَرَّتِ(١٩)
شَدَدْتَ عِصَابَ الحَرْب إذْ هِيَ مانِعٌ ... فَأَلْقَتْ بِرِجْلَيْها مَرِيّا ودَرَّتِ
وكانَتْ إذا ما رَامَهَا قَبْلُ حَالِبٌ ... تَقَتْهُ بإيزاغٍ دَماً واقْمطَرَّتِ(٢٠)
وكانَ أبو حَسَّانَ صَخْرٌ سَمَا لَهَا ... فَدَوّخَها بالخَيْلِ حَتَّى أَقَرَّتِ
وخَيْلٍ تَنَادى لا هَوادَةَ بَيْنَهَا ... مَرَرْتَ لها دونَ السَّوامِ ومَرَّتِ
كَأَنَّ مُدِلاً من أُسُودِ تَبَالَةٍ ... يَكُونُ لَهَا حَيْثُ اسْتَفَاءَتْ وكَرَّتِ

إنَّ حالة الفقد والفراغ الذي حدث بموت صخر ذلك البطل الشجاع الهمام صاحب الهمة والأنفة من عزيمته تستمد العزائم، وبشجاعته ترسم خيوط الانفراج، بالسيف والقوة نالَ ما أراد فاستسلم له العدو إذلالاً وصغاراً، كيف لا وهو الذي يحمي الخيل بفرسانها وتلك المعاني قد عظّمت شأن المرثي الذي لم يعرف في الحرب جبناً أو دنيّة في قيمه ومثله العليا التي تربّى عليها، ممثلاً بـ((الذات الإنسانية الملتصقة بالعواطف والنزعات الوجدانية والتأملية)) (٢١).

وتطالعنا جنوب الهذلية بقصائد تعج منها رائحة العواطف الصادقة، في رثاء أخيها عمرو، ذلك الرمز المفقود، الرجل المكتمل السجايا والخصال الحميدة، إذ إنَّ صدحها هذا يمثل ((أملاً في حياة كريمة تمثلها سجايا القتيل الذي كان مشعلاً للمُثُل والقيم)) (٢٢)، وذلك المشعل هو الطاقة التي أمدّتْ الشاعرة بالألفاظ المجسدة لخصاله والمجسمة لأفعاله، تقول(٢٣):

أبلغ هذيلاً وأبلِغ مَنْ يُبلغُها ... عَني حَدِيثاً وبَعْضُ القول تكذيبُ
بأنَّ ذا الكلبِ عَمْراً خيرهُمْ حَسَباً ... بِبَطنِ شَريانَ يعوي عندَهُ الذِيبُ
الطاعِنُ الطعنةَ النَجلاءَ يَتبَعُها ... مُثْعَنْجِرٌ من دماءِ الجوْفِ أَثْعُوبُ
والتاركُ القِرنَ مُصْفَراً أَنامِلُهُ ... كأنّهُ منْ نَجِيعِ الجَوفِ مخضُوبُ
تمشي النُسُورُ إليهِ وهي لاهِيَةٌ ... مَشيَ العَذارى عليهِنَّ الجَلابِيبُ

فلنْ تَروا مِثلَ عَمرٍو ما خَطتْ قَدَمٌ وَما اسْتَحَنّتْ إلى أوطانِها النِيْبُ

في هذا النص الرثائي عمدت الشاعرة إلى استعمال مفردات تدل على أصالة المرثي وعراقته، إذ إنّه من أفضل الناس حسباً وأثبتهم عند تلاقي الزحوف في أرض المعامع والحتوف. فهو لا ينازع إلاّ من هو مثله، لذا نجده يقارع سّيد قوم أعدائه فيطعنه فيتركه مخضباً بدمه، وهو بهذا يبدد أسطورة قوة العدو. مما يزيده قوة إلى قوته وهيبة فوق هيبته.

وبطولته تلك ألبسها رداء العز والهيبة حينما جعل جلّ همه المحافظة على النساء وتخليصهن من السبي وإرجاع هيبتهن ومكانتهن التي هي مكانة قومهن. فنراه يدفع العدو الصائل عنهن بشجاعته، فيقلب الموازين بعد أنْ كادت تكون كفة النصر من نصيب العدو. والشاعرة بذلك ترسم مثالية تقوم على الشجاعة، خطّ معالمها ذلك البطل بالسنان وبنى قلاعها الحصينة بضربات السيوف الموجعة.

أما قصائد التوثيب فإنّها قامت على التحريض على إعادة الحق المغصوب ووضع حد لكل آفة كادت تنخر المجتمع الجاهلي، وكذلك هي تدعو إلى إعادة الاعتبار ورد الكرامة التي انتهكها آخرون، والقتل أحد هذه الانتهاكات.

إذن الغاية الأساسية للموثبات الدعوة إلى الالتزام بالخلق النبيل والصفات الحميدة التي وضع أصولها أفراد ذلك المجتمع فكانت النبراس الذي أنار حلكة ليلهم، وآنس وحشتهم، علاوة على ذلك فإنَّ الهدف الأسمى للموثبات يكمن في إلهاب المشاعر وتحريك سكون النفوس إلى رفض الذل والهوان من خلال أخذ الثأر، الذي يمثل بحد ذاته استرجاعاً للعزة والكرامةِ وتصحيحاً للاعوجاج-الذي كاد يعصف بالمجتمع وينهكه-من خلال الاقتصاص من الجاني. ويذهب الحوفي إلى أنَّ ((للثأر بعض النفع، لأنه يكبح من جماح بعض الحمقى الذين تسيرهم شهوات القتل والقسوة)) (٢٤)، وبهذا يكون الثأر المعول الذي يتم من خلاله كبح جماح الخارجين عن المبادئ والمتهاونين بها، كما أنّ للقبيلة التي تطالب بثأرها وتأخذ به، من القوة والمنعة والمكانة ما يجعل القبائل الأخرى تهابها وتحسب لها ألف حساب. وكان للمرأة الدور الأبرز في التحريض على الأخذ بالثأر، فخرجن ((من خدورهن حاسرات عن رؤوسهن، نادبات هول المصيبة، يخمشن الوجوه، ويبكين القتلى فيذكرن السامعين بفضائلهم، وجليل فعالهم، ويصورن عظيم مصابهم، وكل هذا له شديد الوقع في نفوس السامعين، يثير فيها الحماس لأخذ الثأر)) (٢٥).

وعليه يمكن القول إنَّ الضابط من أخذ الثأر يتجسد في محورين أحدهما المحور الأمني، الذي كان العربي الجاهلي في أشد الحاجة إليه، ولاسيما في ظل غياب القانون المركزي الذي ينظم شؤون أفراد ذلك المجتمع، وثانيهما المحور الاجتماعي والاقتصادي وهما مرتبطان بالأول ارتباطاً وثيقاً، لأنَّ الأمن ينعكس بصورة مباشرة على الوضع الاجتماعي والاقتصادي.

وتبرز ظاهرة التحريض عند النساء بصورة جليّة، ولاسيما في رثاء القتلى الذين سقطوا صرعى في سوح الوغى، ومن ذلك رثاء الجيداء لزوجها، تقول(٢٦):

يا لقومي قد قرَّحَ الدمعُ خـدّي ... وجفاني الرَّقادُ من عُظمِ وجدي
كان لي فارسٌ سقاه المنايـا ... عبدُ عبسٍ بِجَورِه والتّعدّي
بدرُ تِمٍّ هوى إلى الأرض لمّـا ... رشقَتْهُ السِّهامُ من كفِّ عبـدِ
ورماني من بعدِ أنصارِ جُندي ... في همومٍ أكابدُ الوجدَ وحدي
يا قتيلاً بكـتْ عليه البواكي ... في جبال الفلا وفي أرضِ نجدِ
كان مثلَ القضيبِ قدّاً ولكـن ... قدَّه صرفُ دهرِه أيَّ قـدِّ
يا لَقومي من يكشفُ الضيمَ عني ... ويُراعي من بعدِ خالد عهدي

تبدأ الشاعرة قصيدتها بنداء قومها واصفة حالها بعد مقتل زوجها، فألم الفقد قد بلغ منها مبلغاً، والحزن أنهكها والدموع قد قرحت خديها، وفقدها لزوجها قد قلب حياتها إلى شقاء وحزن طويل، فهي تتوسم ببني قومها أنْ يأخذوا بثأره الذي طال انتظاره أمداً بعيداً، وهذا ما عبّرت عنه بقولها :(ومن يكشف الضيم) دلالة على أنّ حزنها قد طال أمده، فعمدت إلى التحريض لعلّها تنال بغيتها، ومن الملاحظ أنّ الشاعرة بدأت وختمت مقطوعتها بالنداء، وهذا نداء المستغيث بصيغة (يا لقومي) الموجه إلى القوم الذين تراخوا عن الاقتصاص من القاتل، وغفلوا عن إعادة الكرامة المهانة.

إنَّ المثالية في التوثيب تكمن في تعداد خصال المرثي وصفاته الحميدة وهذه الصفات تمثل مرحلة الخلود بعد الموت، وعلى قدر وجودها في الفرد تكون مكانته في المجتمع، لذا لم يقبلْ العربي أن يسكت عن قتل بني قومه المكتملي الصفات، أصحاب المروءة والشهامة، بل نراه يرد الصاع صاعين من أجل عزة قومه ومكانتهم في المجتمع، فجاءت قصائدهم توثيبية تحريضية، لأجل ذلك،[٢٧] ((تحمل في طياتها صيحات تدعو فيها القبائل إلى رفض الاستكانة، فتدفعهم إلى حمل السيوف لمقاتلة الأعداء))[٢٨] وعليه فإنّ الرثاء الممزوج بالتوثيب له غايات في نفس الشاعر، أجلّها ما يقوم على تعميق المفاهيم الأخلاقية القائمة على الصفات النبيلة والقيم الفضيلة، في وقت السلم والدعة، وأقومها ما بُني على غاية حربية تنطلق من كون القبيلة خطوطاً حمراء لا تُمس ولا يُتعدى حدودها فيكون منهاجها الحربي قائماً على اطراح الذل والخنوع، وأخذ الثأر واستعادة الحق المسلوب[٢٩]، وبذلك تُعاد الهيبة التي ثُلِمت، وتلملم الجروح التي فُتِقت.

٢- الرثاء في السلم.

العصر الجاهلي على ما فيه من كثرة حروب ووقائع إلاّ أنّنا نرى فيه جنوحا نحو السلم، ذلك الأمل الذي ينشده كلّ إنسان، لأنَّ فيه طمأنينة نفس وحفظا من الهلاك والضياع، لهذا تعالت تلك الصرخات من خلال الشعر الذي يعد لسان حال ذلك المجموع والمعبّر عن آمالهم وتطلعاتهم.

إنَّ ارتباط السلم بالرثاء يأتي من خلال إفاضة المعاني الجليلة على المرثي، الذي جعل من قضايا مجتمعه شغله الشاغل، ولم يلهه عنه أي شيء آخر، ولاسيما قضية العوز والفقر ومساعدة المحتاجين ((وكل ما يزين الرجل في رأيهم من صفات وخلال، وكأنهم يريدون أن يصوروا تصويراً تاماً مدى الخسارة في فقيدهم))(٣٠) كل هذه القضايا مما يُكمّل شخصية المرء ويجعله محط إعجاب أنظار الآخرين علاوة على ذلك فإنَّ ((الشاعر لا يتقيد بالإطار الواقعي لشخصية المرثي وإنّما ينحو إلى رسم الصورة المثالية له)) (٣١)، وهذا كله متأتٍّ من الجانب الإنساني والشعور النابع من صدق العاطفة وصفو المشاعر، ويتلخص هذا الاتجاه في مراثي ذوي القربى، ومن ذلك مرثية سعدى بنت الشمردل، تقول(٣٢):

يا مُطعم الرَّكبِ الجياع إذا هُمُ ... حَثّوا المطِيَّ الى العُلى وتسرعُوا

وتجاهدوا سَيراً فبعضُ مَطيِّهِمْ ... حَسْرى مُخلّفةٌ وبعضٌ ظـلَّعُ(٣٣)

جوّابُ أَوديةٍ بغيرِ صَحَابَـةٍ ... كَشَّافُ دَاوِيّ الظّلام مشَيّعُ

إنْ تأتِهِ* بعدَ الهُدُوّ* لحاجةٍ ... تَدعو، يُجِبْكَ* لها نَجِيبٌ أَرْوَعُ

مُتحَلِّبُ الكَفَّينِ أميثُ بارعٌ ... أَنِفٌ طُوالُ السّاعدَينِ سَمَيْدَعُ

سَمْحٌ إذا ما الشَّوْلُ حَارَدَ رِسْلُها ... واسْتَروَحَ المَرَقَ النّساءُ الجُوَّعُ

الجانب الأخلاقي والصفات الكريمة طغت بصورة واضحة على النص وهذا تعبير صادق عن صفات المرثي وأخلاقه بأنّه مطعم الجائعين والمحتاجين الذين يطلبون القرى، ولكرمه هذا فإنَّ المحتاجين قد حثوا إليه الخطى وأسرعوا كي ينالوا عطاياه، علاوة على ذلك فإنّه يقابل المحتاجين بوجه مستبشر مشرق، يداه تفيضان كرماً ولاسيما في وقت العوز والجدب، وهذه الخلال هي التي صنعت من المرثي رجلاً مكتمل الصفات، وهذه ((تجربة إنسانية متميزة تصلنا بحقائق المجتمع وحقائق الوجود)) (٣٤).

إنَّ البيئة التي عاش فيها الفرد الجاهلي بيئة توحي إلى عدم الاطمئنان والشعور بالراحة نتيجة لطبيعتها الصحراوية وما يرافق ذلك من التنقل سعياً وراء أسباب الحياة، لذا نجد أنَّ المراثي تحاكي حالة الفقد والنقص الذي

يخلفه غياب ذلك الأسد عن عرينه وما سيخلفه ذلك الغياب من ذل وانكسار، ومن ذلك قول فاطمة بنت الأحجم، ترثي زوجها الجراح وإخوتها الذين قتلوا في حروب الفجار(٣٥):

قد كُنتَ لي جَبَلاً ألوذ بِظلِّهِ ... فتركتَني أضْحَى بأجْرَدَ ضاحِ
قد كُنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتَ لي ... أمشي البَراز وكنْتَ أنتَ جناحي
فاليومَ أخْضَعُ للذليلِ وأتَّقي ... منه وأدْفَعُ ظالمِي بالرّاحِ
وإذا دعت قُمْرِيَّةٌ شَجَناً لها ... يَوماً على فَنَنٍ دَعَوْتُ صَبَاحي
وأَغُضُّ من بَصَري وأعلم أنّه ... قد بانَ حَدَّ فوَارِسي ورِماحي

في هذه المقطوعة تبرز لنا الشاعرة خصائص المرثي الحامي الذي يمثل طريق الأمان الذي تسلكه، والجبل الذي تحتمي بظله، لكن رحيله عنها تركها مهيضة الجناح واهنة الخطا فاستسلمت لنوائب الأيام بعد أنْ كانت تمشي البراز وكلها مجد وشموخ تستمده من عزة المرثي الحامي ومكانته في المجتمع. ونجد أنه كلما دنت أواصر القرابة بينهما كان الفقد أشدَّ إيلاماً وأكثر لوعة.

وتطالعنا صفية بنت عبد المطلب بمرثية تعدد فيها مناقب الخير والخصائل الحميدة لأبيها عبد المطلب، تقول فيها(٣٦):

لموت نائمةٍ بليلِ ... على رجُل بقارعةِ الصَّعيدِ
ففاضت عند ذلكُمُ دُمُوعي ... على خَدِّي كمُنْحَدِرِ الفَريدِ
على رجُلٍ كريمٍ غير وَغْلٍ ... لهُ الفضلُ المبينُ علَى العَبيدِ
على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيكِ الخيرِ وارثِ كلِّ جُوْدِ

تبين هذه المرثية صدق المشاعر والرابطة الإنسانية التي جُبِلَ الإنسان عليها وهي ما جعلت الشعر يخرج دفقات صادقة في لحظةٍ آنية دونما تكلف أو تصنع، وهذا كله يرجع إلى أنّ الرثاء يحاكي حالة فَقْد فيأتي الشعر متنفساً ليخفف من غلواء ألم الفقد٣٧. وفي قصيدة الرثاء يكون البكاء أول نفثة من نفثاتها ثم يتبعه بعد ذلك تعداد الخصال الحميدة التي عرف بها وهذا ما نجده في مرثية صفية فدموع الفقد فاضت على خديها متوجعة متفجعة لذلك الأمر الجلل، فالكرم صفة ظاهرة عليه حتى إنَّ العبيد نالهم خيره وعطفه،

ولصدقه ورجاحة عقله فأنّه كان مطاعاً لدى بني قومه، علاوة على ذلك فإنَّه حليم من قوم شجعان، ولو كان الخلود مكتوباً لذوي الكرم والمجد والمكتملي الصفات، لكان ذلك الخلود من نصيبه.

إذن يمكن القول إنّ قصائد الرثاء التي سارت على هذا النمط، لم تتعدَ تعداد الصفات الحميدة والخصال النبيلة، إذ دارت محاورها حول بكاء الميت ثم ذكر جوانب الخير التي عرفها في حياته.

٣-تأبين الميت وندبه وعلاقة ذلك بأغراض الشعر الأخرى:

التأبين والندب روابط وأواصر ومحبة، وهما فعلان يقوم بهما الفرد وفاءً وحباً لتلك الروح التي فارقت الحياة بلا عودة، فالمشاعر الصادقة تكمن وراء ذلك الفعل الذي يقوم على ((الثناء على الميّت، حيث كان العرب القدماء يقفون على قبر الميت ذاكرين مناقبه... ولقد كانت قصيدة الرثاء إطاراً فنياً جمع فيه الشاعر مختلف المُثُل العليا لمن رثاهم)) [٣٨]، وتلك أهم الأُسس التي قامت عليها قصيدة الرثاء في العصر الجاهلي والتي تمثل بحد ذاتها الوفاء الذي يبرز تلك المثالية على أرض الواقع، ونجد هذا في قول خالدة بنت هاشم بن عبد مناف[٣٩]:

عينُ جودي بِعبْرةٍ وسجوم ... واسفحي الدَّمعَ للجوادِ الكريمِ
* * * *
هاشمِ الخيرِ ذي الجلالةِ والحمـ ... ـدِ وذي الباعِ والندى والصميمِ
* * * *
صادقِ البأسِ في المواطنِ شهمٍ ... ماجدِ الجدِّ غير نكسٍ ذميمِ

هذه الأبيات تعدد كل مناقب الخير التي عُرف بها المرثي في حياته، إذ تحمل لوحة تعبيرية للمثالية التي رآها الشاعر في المرثي من كرم وجود، ومساعدة كل محتاج والشجاعة والشهامة، وتلك المعاني من مكملات الشخصية المثالية. وليس ثمة فرق بين المرثية والمدح إلاّ ما يدل عليها، وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر ((ليس بين المرثية والمِدْحة فصل إلا أَنْ يُذكر في اللفظ ما يدلُّ على إنّه لهالك مثل: كان و تولّى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأنَّ تأبين الميّت إنّما هو بمثل ما كان يمدح في حياته)) [٤٠]ولم يخرج ابن رشيق القيرواني عمّا جاء به قدامة، وإنْ اختلفت تفصيلاته في هذا الأمر، بقوله: ((وليس بين الرثاء والمدح فرق، إلاّ أنه يُخلَط بالرثاء شيء يدلُّ على أن المقصود به ميّت، مثل ((كان)) أو ((عدمنا به كَيْت وكَيْت)) وما يشاكل هذا وليُعْلَم أنّه ميّت)) [٤١٤]. هذه أهم المحاور التي جرى على أساسها التمييز بين المرثية وغيرها من أغراض الشعر، وكانت للعرب عادات على أساسها تقوم مراسيم الندب

وبكاء الميت، وهذا مما تعارف عليه المجتمع حتى صار سُنّة من سننه وطريقة للتعبير عن الحزن وهول الموقف الذي حدث لهم، ولم يقتصر الأمر عندهم عند حدود البكاء بل صاحبه ((شقُّ الجيب وتعفير الرأس بالتراب، واجتماع النسوة أياما لندب الميّت وذكر مناقبه)) [٤٢]، وكذلك نجد أنّ ((المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها حلقت رأسها وأخذت نعلي زوجها فعلقتهما في عنقها وضربت بهما وجهها)) [٤٣]

إنَّ ألم الفقد يحرق القلوب والأكباد ويحرك المشاعر الكامنة، إذ جاء الرثاء لإظهار الحسرة على فقدان الأحبة، فتتجلى فيه العاطفة الصادقة، فتنبعث منها لواعج الشوق وألم الفقد، فقد ذلك الشخص الذي ذهب دونما رجعة، وأنّى له أن يرجع إنْ كان القتل نصيبه، يقول كعب الغنوي [٤٤]:

تَقُولُ سُلَيْمَى: مَا لِجسمكَ شَاحِبًا ... كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرابَ طَبِيبُ
فَقُلْتُ، وَلَمْ أَعْيَ الجَوَابَ وَلَمْ أَبُحْ ... وَلِلدَّهْرِ فِي الصَّمِّ الصِّلاَبِ نَصِيبُ

ويقول فيها راثياً أبا المغوار [٤٥]:

أَخُو شَتَوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ ... سَيَكْثُرُ مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ
إِذا حَلَّ لَمْ يُقصِ المحلَّ بَيْتَهُ ... وَلكنَّهُ الأدْنى بحيثُ تَنُوبُ
إِذا قَصَّرتْ أيدِي الرِّجال عَنِ العُلا ... تَناوَلَ أقْصى المكْرُمَاتِ كسُوبُ
جَمُوعُ خِلالِ الخَيْرِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... إِذا حَالَ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ

ومرثية كعب تقوم على تعداد الخصال الحميدة التي عُرف بها أخوه، إذْ تُمثل بحد ذاتها لوحة مثالية مكتملة الصفات، فبطلها كريم وقت الجدب، شجاع عند البأس، حليم ذو رأي حكيم وعقل راجح، بعيدٌ كلّ البعدِ عن الطيش لا يتبع لحاجة النفس وهواها... وما إلى ذلك من كل معنى يجعل الفرد نبراساً يُقتدى به ويُقتفى أثره.

علاوة على ذلك فإننا نجد هنالك ترابطاً بين الرثاء وأغراض الشعر الأخرى وهذا الترابط جاء نتيجة التداخل الذي من وظيفته استيفاء المعاني وإعطاء المرثية مسحة تعبيرية أكبر، وهي بهذا تعتمد التشخيص وتتبع الحالة الشعورية التي يحس بها الشاعر، فالعلاقة بين الغزل والرثاء تقوم على دعامتين أساسيتين إحداهما: أنَّ الغزل ((استجابة وجدانية وعفوية تخلقها طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، وهي علاقة واقعية وغريزية)) [٤٦]، والأخرى جعْل الرثاء ((مجموعة من مشاعر خاصة تمتاز بالحزن واللوعة والبكاء)) [٤٧]. إذن فالرابط بين هذين الفنين إنّما هو شدة التشابه بين الألم الذي يحدثه كل منهما ولاسيما إذا ما عرفنا أنّ كلاً منهما في أصوله تعبير نابع عن لواعج الحب ومكنونات النفس وما يصاحب ذلك من حرقة وألم تنبعثان من بين الجوانح فيتصاعد

أوارهما إلى الفؤاد الذي يرسلها نفثات مؤطرة بمعاني الحب والحنان ممزوجة بالخصال الحميدة والفعال النبيلة، وهذا ما نجده في رثاء الزوجات لأزواجهن، ومن ذلك قول سمية زوج شداد العبسي[٤٨]:

جفاني الكرى وأنا في الغسَقْ ... وساعدني الدَّمْعُ لمّا اندفقْ
لفقدِ هُمامٍ مضى وانقضى ... وقد زادَ مني عليه القلَقْ
فَمَنْ بَعد شداد يحمي الحريم ... إذا الحرب قامتْ وسالَ العَرَقْ
ومَن يردعُ الخيلَ يومَ الوغى؟ ... ومن يطعنُ الخصْمَ وَسط الحَدَقْ؟
ومن يكرُم الضَّيْفَ في أرضهِ ... ومن للمنادي إذا ما زَعقْ
لقد صرتُ من بعده في ضنىً ... وقلبي لأجلِ الفراقِ احتَرَقْ

في هذا النص تتحد عناصر الحب المتمثل برابطة الزواج مع عناصر القيم النبيلة لتنتج لنا مزيجاً من الرثاء الغزلي، الذي يجُسد عظم الفقد وهول المصيبة.

ومما يُلاحظ في هذا الجانب أنَّ مراثي الزوجات[٤٩] لأزواجهن قد كَثُرت في العصر الجاهلي في حين ندَر هذا الاتجاه عند الرجال[٥٠]، ومرد ذلك يعود الى طبيعة الحياة التي عاشها الفرد الجاهلي التي كان الرجل فيها من سمات خلقه أنْ يكون جَلداً صبوراً قوياً أمام نوازل الدهر، علاوة على ذلك مكانته القوية في المجتمع، ونظرة الاستعلاء التي استحوذ الرجل بها على المرأة. وقد علل ابن رشيق القيرواني ذلك بقوله: ((ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو إمرأة، لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات))[٥١] ،قلنا إنّ التشابه بين الألم الناتج عن حالة الفقد وحالة الحب هو ما جعل بعض الشعراء يخلطون الرثاء بالغزل، والغزل هنا يمثل ((الحزن على حب ماضٍ وأصبح ذكرى بسبب الموت أو الفراق أو البعد ... فيحق لصاحبه أن يبكيه ويرثيه ويأسف عليه بل ويحزن حزنه على عزيزه الذي مات وتركه وحيداً كما لو أنّه يبكي حياً مات هو الآخر واختفى من حياته، إذ إنّ الرابطة تكون في هذه الحالة واحدة))[٥٢].

إنَّ ارتباط الرثاء بالفخر هو انعكاس طبيعي لما تمتع به المرثي في حياته من مكانة عالية في المجتمع وما عرف عنه من عزة وإباء وشمم وهذه الصفات من مكونات البيئة الصحراوية، إذ كانت أرضية صلبة ((لظهور فن الفخر نظراً لما شهده من صراع مستمر بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان وغيره من الناس، إنَّ الصحراء حافلة دائماً بالمخاطر وبالحروب، وبكل مظاهر القوة والعنف والبطولة. يتجلى فيها التنازع من أجل البقاء في كل صوره))[٥٣] ، وقسوة الحياة هذه كانت انعكاساً على شخصية العربي وأخلاقياته فوطدت في نفسه حب الشخصية المثالية التي اتّخذت من القيم النبيلة ديدناً لها في التعامل مع الآخرين، فنجد في المراثي فخراً وتمجيداً لتلك القيم التي طالما حرص العربي عليها وسقاها بأعز ما يملك من أجل أن تكون حيّة في

النفوس، فنجد أنّ اختلاط المراثي بالفخر يحمل بين طياته تأملات فلسفية تفيض من جنباتها أروع المعاني وأصدقها[٥٤]، وفي ذلك يقول الأفوه الأودي[٥٥]:

ذهَبَ الذين عَهِدتُ أمسِ برأيِهِمْ ... مَن كانَ ينقُصُ رأيُهُ يَسْتَمْتعُ

فينا لثعلبةَ بنِ عَوْفٍ جَفْنَةٌ ... يأوي إليها في الشتاءِ الجوّعُ[٥٦]

مَن كان يَشْتُو والأرامِلُ حولَهُ ... يُرْوي بآنيَةِ الصَّريفِ ويُشبعُ[٥٧]

في كلِّ يومٍ أنتَ تفقِدُ منهُمُ ... طَرَفاً، وأيَّ مَخيلةٍ لا تُقلِعُ[٥٨]؟

لم يبقَ بعدَهُمُ لعينَيْ ناظرٍ ... ما تَستَنيمُ له العُيونُ وتَهجَعُ

الشاعر هنا يستذكر أولي العزم أصحاب الريادة والسيادة، الذين ترك رحيلهم فراغاً نفسياً ومعنوياً لدى الشاعر والمجتمع، لكنَّ ذلك خلّدته قيمهم التي عرفوا بها، فإذا ما ألّمت بهم الأمور وأوقعتهم نوائب الدهر بحثوا عن أولئك الرجال الذين ذللوا الصعاب وأرخوا ملمات الأمور بقوتهم وعزيمتهم التي لا تخور، فكانوا جفانًا مترعة يأوي إليها الجائعون إذا ما أجدبت الأرض وعزَّ الطعام، حتى الأرامل كان لهن نصيب من ذلك الكرم ودليل كرمهم أنّهم أطعموهن بأوانٍ من فضة، ثم يعود الشاعر ليستذكر رحيل هؤلاء الكرماء، أهل الخير والجود فيشبههم بالغيوم الماطرة التي تغيث الناس وتنبت الخير، لكنها تقلع حينما ينضب خيرها ويقل عطاؤها، وكذا الأمر ينطبق على رجال قومه الكرماء، وموقف الرحيل هذا مبعث للحزن الذي جعل العيون منهمرة الدموع يخيّم عليها الحزن القاتم، فلم يحلُ فيها أي منظر وكلّ شيء جميل.

وترثي أم صريع الكندية قومها مفتخرةً ببسالتهم وثباتهم في أرض النزال، إذ لم يرهبهم الموت فاقتحموا غمراته ورأوا أنّ الفرار خزاية والموت في أرض النزال مبتغى كل شجاع وسلطان كل مغوار، وسمة الشاعر في الرثاء أنْ يبتعد عن النفاق والزيف وبذلك فهو يجسد المعاناة الحقيقية التي ((توثق الصلة بين الشاعر وموضوعه وتجعلها أكثر عمقاً وتفاعلاً وينعكس ذلك بوضوح على نتاجه الشعري)) [٥٩]وهذا ما جسدته أم صريع بقولها[٦٠]:

سقى مستهلَّ الغيثِ أجداث فتيةٍ ... بجيشان وَلينا نحورَهُمُ الدَّما

صلوا معمعانَ الحربِ حتى تخرموا ... مقاحيمَ إذهابَ الكماةُ التقحما

هَوَتْ أمهم ماذا بهم يوم صُرِّعوا ... بجيشانَ من أسباب مجدٍ تصرَّما

ولمّا اكفهرَّتْ من عَلَيْهم سحابةٌ إذا برقتْ بالموتِ أمطرتِ الدَّما
أبوا أَنْ يفرُّوا والقنا في نحورِهمْ ولم يبتغوا من رهبةِ الموتِ سُلّما
ولو أنّهم فروا لكانوا أعزَّةً ولكن رأوا صبراً على الموتِ أكرما

الحكمة في الرثاء هي تأملات فلسفية يبثها الشاعر في ثنايا قصيدته يبتغي من ورائها جذب الانتباه إلى حقيقة ما، تتعلق بموضوعه الأساس الذي دفعه إلى قول الشعر، فالعلاقة بين الرثاء والحكمة علاقة ترابطية يستكمل من خلالها الشاعر نظرته القائمة على الوعظ والإصلاح، وهذه الأمور بحد ذاتها تمثل ((حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تمليها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم))[٥] ، إذ لا تخلو تلك الحقائق من النظرة المتجذرة في ذات معظم شعراء الجاهلية بأنَّ الموت هو مصير كل إنسان ولا مهرب ولا نجاة منه ومن ذلك قول يزيد بن الخذاق[٦١]:

هلْ للفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهرِ من وَاقِ أمْ هَل لهُ من حِمَامِ الموتِ من رَاقِ
قَدْ رَجَّلُونِي وَما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ وأَلْبَسُونِي ثِياباً غَيْرَ أَخْلاقِ
وَرَفّعُوني وقالوا: أَيُّمَا رَجُلٍ وأَدْرَجُوني كَأَنِّي طَيُّ مِخْرَاقِ
وأَرْسَلُوا فِتيةً من خَيْرِهِمْ نَسَباً لِيُسنِدُوا في ضريحِ القبرِ أَطْباقِي
وقسَّموا المالَ وارْفَضَتْ عوائدُهُمْ وقالَ قائلُهم: ماتَ ابن
هَوِّنْ عَليكَ وَلا تَوْلَعْ بإِشْفَاقِ فإِنَّما مالُنا لِلوَارِثِ الباقِي
كأَنِّي قد رَمانِي الدَّهْرُ عن عُرُضٍ بِنافِذَاتٍ بِلا ريشٍ وأَفْوَاقِ

تحمل هذه المقطوعة نظرة ثاقبة لحتمية الحياة والموت، وهما ثنائيتان تكمّل إحداهما الأخرى، إذ يبدأ الشاعر في قصيدته بالحديث عن النهاية التي تتمثل بالموت وهي مرحلة انتقال من عالم إلى آخر، وهذه ثوابت لا يمكن دفعها أو اتقاؤها، وهذا مما مهّد لبروز الحكمة في النص، التي جاءت ملائمة للانتقال من عالم الوجود إلى عالم البرزخ، وما دام الأمر كذلك فما الجدوى من الحرص على الدنيا إنْ كان المال الذي يجمع هو من حظ الغير. وهذه الحكمة تمثل فلسفية مثالية ودعوات من لدن الشاعر إلى الابتعاد عن البخل واتخاذ المال سلّماً لصنع المجد وإعانة المحتاجين. وبرزت الحكمة في شعر الرثاء بروزاً طاغياً ((لتميزه بصدق المشاعر، وحرارة اللوعة، ونقاء السريرة))[٦٢] ، والمتطلع في نتاج شعراء العصر الجاهلي تبدو له تلك القضية واضحة جلية.

وتبرز الحكمة في رثاء النابغة لأخيه، يقول[٦٣]:

لا يَهنِئ النّاسُ ما يَرْعَوْنَ من كَلأٍ ... وما يَسُوقُونَ من أهلٍ ومنْ مَالِ
بعد ابن عاتكَةَ الثّاوِي لَدَى أَبَوَي ... أمْسَى ببلدةِ لا عمٍّ ولا خالِ
سَهْلِ الخليقةِ مَشّاءٍ بأقدُحِهِ ... إلى أولاتِ الذّرى حَمّـالِ أَثْقَالِ
حَسْبُ الخَلِيلينِ نَأيُ الأرضِ بَيْنَهُما ... هذَا عَلَيْها وَهذا تَحْتَها بالِ

يرثي الشاعر أخاه معدداً خصاله الحميدة التي عرف بها، ثم ينتقل إلى بث فلسفته الحكمية التي تمثل موعظة ودعوة لكل حي أن يسلك سبيل الخير في حياته، فكل شيء مصيره إلى نهاية وزوال، حتى الصداقة والود إن لم يُعكّر صفوهما الأمور الدنيوية فلا بد لهما من نهاية، فالموت هو العلامة الفارقة لنهايتهما، وهنا تبرز الحكمة التي قصد الشاعر إليها، فالموت عنده لا يعني نهاية المطاف ولا الحياة تمثل الخلود والذكر الحسن، إنّما جلائل الأعمال المتمثلة بالخلق وحب الخير ومساعدة المحتاجين، وهذه القيم تمثل الخلود الذي يبقي ذكر صاحبه طائراً في الآفاق.

وتبرز في قصيدة الرثاء معانٍ جليلة قلّما تتكرر عند أُمة من الأمم من غير العرب، وهذه المعاني تمثل بحد ذاتها المثالية التي عرف بها الفرد العربي وإلاّ ما الدافع من وراء ذلك إن لم تكن نبلاً وأخلاقاً وشهامةً واعترافاً بفضل الغير، وتلك المعاني جُسّدت برثاء العدو وإنصافه، إذ يبلغ الشاعر فيه مبلغ الفرسان والكرماء وأصحاب المقام الرفيع، ويمكن القول إنّ هذا الرثاء يمثل الجوهرة النفيسة اللامعة في عتمة الليل، وكأنه الثقب الذي ينفذ من خلاله ضوء العدل والإنصاف، وهذا كله نابع من أنّ الشاعر في الرثاء ((بمنأى عن النفاق والخداع))[٦٤] وبعد أن قتل قيس بن زهير العبسي حملَ بن بدر الفزاري، قال يرثيه[٦٥]:

شفيتُ النفس من حمل بن بدرٍ ... وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أكُ قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني
قتلت بإخوتي سادات قومي ... وقد كانوا لنا حَلْيَ الزمانِ

وهذا الاعتراف من لدن الشاعر بأَنَّ من قتلهم إنْ هم إلاّ سادة وفرسان يمثل فقدهم خسارة للمجتمع وله، فبفقدانهم كأنّه فقد جزءاً من جسمه، إذ نرى في هذا صدق المشاعر والندامة على ما حصل، ومداواة لجراحات القلوب، التي نتجت من جراء الاقتتال بين أبناء الأمة والمجتمع الواحد.

ويبقى رثاء الشاعر لخصمه الجانب المضيء للدلالة على مثالية العربي وأخلاقه العليا واعترافه بحسن أخلاق العدو، وعدم سلبه قيمه ومثله العليا، وتلك من أخلاقيات العربي التي مثلها شعر الإنصاف[٦٦].

ومن المعاني التي تداخلت في شعر الرثاء وجاءت فحواها تحضيضاً على الالتزام بالخلق العربي النبيل وعدم الخروج عن الدائرة التي رسمها المجتمع والتي كانت القيم الفاضلة المرتكز الذي قامت عليه حياة أبناء ذلك العصر، ولهذا نجد أنّ قصيدة الرثاء قد اختلطت بالعتاب على من حلّ مكان الميت ولم يكمل مسيرته ولم يقتدِ بفعاله النبيلة كالكرم والشجاعة، وهذا ما نجده في قول ليلى بنت يزيد راثيةً أباها، معاتبة أخاها علي بخله(٦٧):

يَزيدُ أبا قيسٍ وَهَلْ تَسْمَعَنّهُ ... وَعِنْدَكَ تَعبيرٌ لَوَ أنَّكَ تَسْمَعُ

لأَصْبَحَ ما جَمَّعتَ مِنْ كُلِّ صالحٍ ... مَعِيَّةَ يُعْطِي النَّاسَ مِنْهُ وَيَمْنَعُ

فلا تأمَنَنَّ الدَّهْرَ شَيْئاً رَأَيْتَهُ ... وَلا أنْ يَسُوق النّاسَ عَبدٌ مُجَدّعُ

ويتداخل اللوم مع الرثاء للتعبير عن عدم الرضا من موقف معين، كأن يكون موقف التخلي عن الغير في أرض النزال، وهذا التخلي هو في حد ذاته يمثل أعلى مراتب الجبن، وإلاّ كيف يُترك مواجهة العدو لشخص واحد، أما الآخرون فكان الفرار نصيبهم، تقول في ذلك ليلى بنت لكيز راثيةً غرثان أخا زوجها، لائمةً كل الذين خذلوه وتركوه وحيداً يجابه الأعداء(٦٨):

لمّا ذكرتُ غُرَيْثاً زادَ بي كمدي ... حتى هممتُ من البلوى بإعلانِ

تَرَّبعَ الحُزْنُ في قلبي فَذُبْتُ كما ... ذابَ الرَّصاصُ إذا أُصلي بنيرانِ

فلو تراني والأشجانُ تُقلِقُني ... عجبت برَّاقُ من صبري وكتمان

لا درَّ درَّ كُلَيْبٍ يومَ راح ولا ... أَبي لُكيزٍ ولا خيلي وفرساني

عن ابنِ رَوْحان راحت وائلٌ كثباً ... عن حاملٍ كلَّ أثقالٍ وأوزانِ

وأسلموا المالَ والأهلينَ واغتنموا ... أَرواحَهم فكِلا زندُ ابنِ روحانِ

فتى ربيعةَ طوّاف أماكنها ... وفارس الخيلِ في رَوْعٍ وميدانِ

الأمر الجلل الذي حدث لغرثان هيج العاطفة الإنسانية لدى الشاعرة، فلم تستطع كتمان ذلك الحزن الذي تربع في فؤادها، فالكلمات وحدها التي لم تتخلَّ عن الشاعر بل جسدت بطولته وفروسيته وثباته في أرض النزال وعدم انكفائه أمام العدو، وإنَّ ما زاد الأمر حزناً وقسوة ترك بني قومها فارسهم يجابه الأعداء وحيداً وهروبهم من أرض النزال تاركين خلفهم المال والأهل لأجل سلامة أرواحهم.

إنّ الرثاء يعبر عن الحزن العميق الذي يتغلغل في النفس وما يصاحب ذلك الحزن العميق من انقطاع الدمع نتيجة لكثرة البكاء وطول مدة الحزن واستمراره، وهو ما عبرت عنه الخنساء بقولها (٦٩):

أعَيْنَـيَّ جُـوْدَا ولا تَجْمُـــدَا ألا تبكِيَـانِ لِصَخْـرِ النَّـــدَى

وهذا الشعور العميق هيّج المواجع لدى الشاعرة وجعل الحزن مُعبراً، لهذا نراها تخاطب عينيها أنْ تجود بالدموع، لأنّه إذا ((اشتد الحزن ذهب البكاء))(٧٠)، وظاهرة الحزن هذه ((تفصح عن المعاناة وتجسّم الآلام التي يعانيها شعراء الرثاء))(٧١).

الخاتمة :

من خلال اطلاعنا على مراثي الشعراء تبين لنا أنّ الشاعر الجاهلي في الرثاء سعى إلى رسم الصورة المثالية للمرثي من خلال الصفات الحميدة التي عرف بها في حياته والتصاق تلك القيم به يمثل دعوة من لدن الشاعر لأبناء ذلك المجتمع، أنْ يسلكـوا سبيله ليفوزوا بالذكر الحسن الذي يخلدهم بعد الموت، وهذه الفلسفة قامت عليها قصائد الرثاء وخلّدت أصحاب تلك المواقف النبيلة أبد الدهر.

الهوامش

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٥٤.

* إنّ مرحلة النشأة الأولى لهذا الفن كانت عبارة عن تعويذات تقال على قبر الميت، للبوح عما يتلاطم في القلب من أمواج الحزن، ينظر، تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ٢,٧.

(٢) تجربة الموت في شعر الخنساء بين الواقع والمثال: ٧٣.

(٣) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: ٦١.

(٤) ولا نعني أنّ القول في هذا الغرض لم يدخل معتركه الرجال، بل نجد الكثير منهم ممن أجاد القول في هذا الفن، لكن العاطفة لدى النساء كانت أقوى وأجزل ((لأنه الأقرب إلى طبيعتها وتركيبتها النفسية ومنزلتها الاجتماعية))، ملامح شخصية البطل في شعر الحرب: ١٧.

(٥) البيان والتبيين: ٢/٣٢٠ .

(٦) قراءة جديدة في مراثي الخنساء: ٢.

(٧) عشرة شعراء مقلون: ٧٧.

(٨) شعر عمرو بن معدي كرب: ٢,٥.

(٩) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ١/٤٨.

(١٠) الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام: ٢٧.

(١١) ديوان طرفة: ٥٦.

(١٢) تأريخ الأدب العربي، بروكلمان: ١/١٦٤.

(١٣) موضوعات الشعر العربي القديم ودلالاتها النفسية والفنية: ٦٤.

(١٤) مشكلات فلسفية، مشكلة الإنسان: ١١٤.

(١٥) التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول: ٣,٥ .

(١٦) الصورة في شعر الرثاء الجاهلي: ٥٢.

(١٧) ديوان الخنساء: ١٩٠- ١٩٦ .

(١٨) الوجيف: السير السريع الشديد. اقشعرَّت: ساءت حالُها وتغيرت ألوانها فقُبحت شُعُورها وسمجت لطول السفر.

(١٩) السريح: سيور النِّعال التي تُنْعَل بها اخفاف الابل وحوافر الخيل. الهراس: نبات كثير الشوك.

(٢٠) الايزاغ: خروج الدم او البول دفعة دفعة. اقطرّت: أي رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمّت بأنفها.

(٢١) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ((مفهوم الرثاء ودواعيه)) : ٢ .

(٢٢) دراسات في الشعر الجاهلي، أنور ابو سويلم : ٣٧.

(٢٣) ما وصلنا من شعر جنوب الهذلية: ١٦-١٧.

(٢٤) الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٢٨٣ .

(٢٥) المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي:٢٢٢.

(٢٦) شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام: ٤٩.

(٢٧) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام: ٤٦ ، ١,٤، و كتاب شرح أشعار الهذليين:٢/٨٦٦، و ديوان المهلهل بن ربيعة:٣١.

(٢٨) شعر المرأة في الحرب والتوثيب:٤٩.

(٢٩) ينظر، الموشيات في الشعر العربي قبل الإسلام: ٢٣.

(٣٠) شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم: ٣٢.

(٣١) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: ٣٥٢.

(٣٢) الأصمعيات: ١,٤.

(٣٣) ظُلَّعُ: وهو العرج والغمز في المشي .

(٣٤) في النقد الأدبي، شوقي ضيف: ١٩٠.

(٣٥) ديوان شعر الأيام: ٤٤٩.

(٣٦) ديوان صفية بنت عبد المطلب: ٨٧.

(٣٧) ونحن نعارض الفكرة التي قال بها بروكلمان، عندما رأى أنَّ ((الغرض من المرثية أن تطفئ غضب المقتول وتنهاه أنْ يرجع إلى الحياة فيلحق الأضرار بالأحياء الباقين، ولكن هذا المعنى تلاشى تقريباً في الجزيرة العربية أمام الشعور الإنساني بالحزن المحض)) تأريخ الأدب العربي: ١/٤٧-٤٨ ، ونقول إنَّ المرثية ما هي إلاّ شعور نفسي صادق نابع من الحب المكنون في الصدور حتى وإنْ وجدت فيه ملامح الأسطورة إلاّ أنّها لم تكن مادته الخام.

فالشعور الإنساني المتمثل بالحب والكره والفرح والحزن وجد منذ أنْ وجدت الخليقة.

(٣٨) شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية:٩٢.

(٣٩) كتاب بلاغات النساء: ٢٣٨ وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ١١٣.

(٤٠) كتاب بلاغات النساء: ٢٣٨ وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ١١٣.

(٤١) العمدة: ٢/١٤٧.

(٤٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٩/١٥٤ .

(٤٣) كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني: ٣/ ١١٩٧ .

(٤٤) شعر كعب بن سعد الغنوي: ٧٢.

(٤٥) المصدر نفسه: ٧٨-٨١.

(٤٦) المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ٧.

(٤٧) المصدر نفسه: ٧.

(٤٨) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٤٥.

(٤٩) ومن ذلك الرثاء، رثاء جليلة البكرية لزوجها كليب، ينظر شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام:١/٣٧-٣٨. رثاء زوجة قُراد لزوجها الذي كان ينتظر موتا محتوماً بعد حكم النعمان بن المنذر عليه بذلك وكفالته لرجل من طيئ. ينظر المصدر نفسه:١/٢٧.

(٥٠) ومن مراثي الرجال لزوجاتهم في العصر الجاهلي ، رثاء عمرو بن قيس المرادي لزوجته، ينظر معجم الشعراء:٢٣٦ ، ورثاء العوام بن كعب المزني لزوجته، معجم الشعراء:١ ٣٠ .

(٥١) العمدة:٢/١٥٤.

(٥٢) رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي:٥٨.

(٥٣) الفخر في الشعر العربي، سراج الدين محمد: ٦.

(٥٤) ينظر، ديوان شعر الخرنق: ٣٣. ، و ديوان امرئ القيس:٢٦١، وديوان الخنساء: ٣٨٧.

(٥٥) ديوان الأفوه الأودي: ٩١-٩٣.

(٥٦) الجفنة: القصعة الكبيرة.

(٥٧) الصريف: الفضة الخالصة.

(٥٨) المخيلة: السحب المنذرة بالمطر.

(٥٩) تأملات فلسفية في القيم الروحية للشعر الأندلسي: ٢٣٢.

(٦٠) شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام: ٩٧-٩٨.

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٢٨٧.

(٦١) شعراء عبد القيس وشعرهم في العصر الجاهلي:٣٥٩.

(٦٢) الحكمة في الشعر الجاهلي وأثرها في إشاعة السلم: ١٢٣.

(٦٣) ديوان النابغة الذبياني: ١٨٨.

(٦٤) اتجاهات الرثاء وتطوره في العصر العباسي الأول: ٨.

(٦٥) شعر قيس بن زهير: ٤٩.

(٦٦) هناك عدد من الشعراء، ظهر الإنصاف في مراثيهم ، ينظر مثلاً : الأصمعيات: ٦٨-٣٧،٦٩-٣٨ ،و الأغاني: ١٢/ ١٦ ،و شعر قيس بن زهير: ٣٣.

(٦٧) التعازي والمراثي: ١٢٣-١٢٤.

(٦٨) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٣٣ .
(٦٩) ديوان الخنساء: ١٤٣.
(٧٠) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٦٥/٥.
(٧١) هاجس الحزن وأثره في شعر الخنساء: ٤٣٨- ٤٣٩.

المصادر

- اتجاهات الرثاء وتطوره في العصر العباسي الأول، عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي، دار الكتب المصرية- الطبعة الاولى ١٤١٠هـ _ ١٩٩٠م .
- الأدب الجاهلي قضايا، وفنون، ونصوص، د. حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، بطرس البستاني، دار نظير عبود – بيروت، ١٩٨٩م.
- الأصمعيات، ابي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، بيروت – لبنان ،(د.ت)
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة السابعة ١٩٩٨م.
- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الثامنة.
- تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، نقله الى العربية: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف-القاهرة ١٩٥٩م.
- تأملات فلسفية في القيم الروحية للشعر الاندلسي (الحياة والموت أنموذجا)، د. محمد شهاب العاني، جامعة الانبار كلية الآداب، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاسلامية، العدد الثالث، المجلد الاول لسنة ٢٠٠٩م.
- تجربة الموت في شعر الخنساء بين الواقع والمثال، م. حسن سعد لطيف، مجلة آداب ذي قار ، العدد (٣)، المجلد (١)، آيار ٢٠١١م.
- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، للإمام الكبير ابي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠_٢٨٦هـ)،تقديم وتحقيق: ابراهيم محمد حسن الجمل ، مراجعة محمود سالم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د . ت)
- التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، مجاهد مصطفى بهجت، بغداد، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٢م .

- الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والاسلام، د. نضال احمد باقر الزبيدي، دار الينابيع للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ٢٠١٠م.
- الحكمة في الشعر الجاهلي واثرها في اشاعة السلم، د. علاء جاسم جابر، مجلة المجمع العلمي، الجزء الثالث- المجلد الرابع والخمسون، بغداد ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د. احمد محمد الحوفي، دار القلم ،بيروت- لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٦٢م.
- دراسات في الشعر الجاهلي، د. أنور ابو سويلم، دار الجيل- بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٨ه- ١٩٨٧م.
- ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان، رواية ابي عمرو بن العلاء، شرحه وحققه وعلق عليه: يسري عبد الغني عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ديوان الخنساء شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحي بن سيار الشيباني النحوي (ت٢٩١هـ)، حققه: د. أنور أبو سويلم، نشر بدعم من جامعة مؤته، دار عمار، عمان- الاردن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ديوان المهلهل شرح وتحقيق أنطوان محسن القوّال ، دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٩٥ م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .
- ديوان أمرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.
- ديوان صفية بنت عبد المطلب، جمع وتحقيق: ليلى الحيالي ، مجلة المورد،م ٢٧ – العدد :١ لسنة ١٩٩٩م
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق : دريّة الخطيب ، و لطفي الصقال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ـ لبنان و إدارة الثقافة والفنون دولة البحرين ، الطبعة العربية الثانية (مزيدة ومنقحة) ٢٠٠٠م
- رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، محمد عبدالقادر حسن غنيم، اطروحة دكتوراه، جامعة البنجاب - لاهور- الباكستان، كلية الدراسات الشرقية.
- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، حسين جمعة، كلية الآداب-جامعة دمشق، رسالة ماجستير ١٩٨٢م.
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه ووقف على طبعه بشير يموت المطبعة الوطنية بيروت - المكتبة الاهلية - بيروت، الطبعة الاولى ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .
- شعراء عبد القيس وشعرهم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق: د. عبد الحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبد العزيز العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري-الكويت ٢٠٠٢م.

- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحي الجبوري، دار التربية – بغداد ١٩٧٢م.
- شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، د. عبد الرشيد عبد العزيز سالم، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة الاولى ١٩٨٢م .
- شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، د. مصطفى عبد الشافي الشورى، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الاولى ١٩٩٥م.
- شعر المرأة في الحرب والتوثيب حتى نهاية العصر الراشدي، فوزية كريم واراني، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات- جامعة الانبار،٢٠٠٦م.
- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرابشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، منقحة ومزيدة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البياتي ، مطبعة الآداب في النجف ١٩٧٢م.
- شعر كعب بن سعد الغنوي، جمع وتحقيق ودراسة: د. عبد الرحمن محمد، القاهرة- منيل الروضة، ١٩٩٨م.
- الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، صلوح بنت مصلح بن سعيد السريحي، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات_ جدة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- عشرة شعراء مقلون، صنعة: د. حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي – جامعة بغداد،١٩٩٠م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ه)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- الفخر في الشعر العربي، سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت- لبنان (د . ت)،(د . ط) .
- في النقد الادبي ،الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة ١٩٦٢م.
- قراءة جديدة في مراثي الخنساء، د. جبار اللامي، جامعة ميسان- كلية التربية.
- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الدكتور ابراهيم السّعافين ، الاستاذ بكر عباس، دار صادر ، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .
- كتاب الأمالي، ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.
- كتاب المعاني الكبير في ابيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ)، صححه المستشرق سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، بيروت - لبنان،(د.ت).
- كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعة ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، رواية ابي الحسن علي بن عيسى النحوي، عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني، عن السكري، حققه: عبد الستار احمد فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة- القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

- ما وصلنا من شعر جنوب الهذلية، عنيت بجمعه ومقابلة رواياته: د. نصرة الزبيدي، دار نينوى- دمشق، ٢٠١١م.
- المرأة في الشعر الجاهلي، د. علي الهاشمي، مطبعة المعارف- بغداد، ١٩٦١م.
- المرثاة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان، مطبعة الزهراء- بغداد، الطبعة الاولى ١٩٧٤م.
- مشكلات فلسفية، مشكلة الإنسان، د. زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، (د.ت).
- معجم الشعراء، لابي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرْزُباني (٢٩٧- ٣٨٤هـ)، تحقيق: د. فاروق اسليم، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة السادسة، (د . ت) .
- ملامح شخصية البطل في شعر الحرب بين الفن والصورة المثالية، د. نصرة احميد الزبيدي، مجلة كلية المأمون الجامعة، العدد الرابع عشر ٢٠٠٩م .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي الحسن بن بشر الآمدي(ت ٣٧٠هـ)، تحقيق السيد احمد صقر، الطبعة الرابعة، دار المعارف_ القاهرة،(د.ت).
- الموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام، جمع وحقيق ودراسة: محمد فتاح عبيد الجباوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨١م.
- موضوعات الشعر العربي القديم ودلالاتها النفسية والفنية، د.علي حسن جاسم، دار تموز- دمشق، الطبعة الاولى ٢٠١١م.
- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (د. ت)
- نهاية الأرب في فنون الادب ، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)،دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ .
- هاجس الحزن واثره في شعر الخنساء، رائدة مهدي جابر، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد (٢١)، العدد (٢)، ٢٠١٣م.